وحتى القرن الثالث الهجري ، كان التحـــرج واضحا من القول بالسجع في القرآن . وكانمـــا كان الحس المؤمن ينبو بالكلمة ، لكثرة ما اطلقت من قديم على سجع الكهان .

ولكن القضية ما لبثت ان دخلت معترك الجدل الكلامي بين الفرق الاسلامية ، فارتبطت بالاعجـــاز بالنظم ، وبدات تستقل بمباحث مفردة :

الاشاعرة قرروا نفي السجع عن القرآن ، وآثروا لفظ الفواصل على السجع،محاولين ان يفرقوا بينهما، بان الفواصل يتبع اللفظ فيها المعنى فيه اللفظ (1) .

ولا يبدو لنا وجه تمييزهم بين السجع والفواصل القرآنية واضحا ولا قويا ، فيما نقل عنهم «الباقلاني» فهو يقيم الفرق احيانا على ملاحظ شكليـــة من تفاوت المقاطع بين الفاصلتين طولا وقصرا ، وهذا عنـــده اخلال بضوابط السجع ومقاييســه .

والمعتزلة نفوا كذلك القول بالسجع في القرآن نفيا باتا ، مقررين ان الفواصل بلاغة والسجع عيب . وبسط « الرماني » هذا المذهب في رسالته في اعجاز القرآن ، محتجا للفواصل القرآنية بأن العبرة فيهـا بالمعنى . وان لم يمتنع عنده أن يكون للجرس الصوتي والتلاف الايقاع حظه من التقدير (2) .

ولكن من **البلاغيين**من لم يطمئنوا الى هذه التفرقة بين الفواصل والسجع ، وان اجمعوا على اعجاز البيان القرآنـــي .

منهم « ابن سنان الخفاجي » الـــذي قال في (سر الفصاحة) :

« .... واما الفواصل التي في القرآن ، فانهم سموها فواصل ولم يسموها اسجاعا. وفرقوا فقالوا ان السجع هو الذي يقصد في نفسه ثم يحمل المعنـــى عليه . والفواصل هي التي تتبع المعاني ولا تكـــون مقصودة في انفسها . وقال الرماني ان الفواصل بلاغة والسجع عيب ، وعلل ذلك بما ذكرناه من ان السجع تتبعه المعاني والفواصل تتبع المعاني . وهذا غيـــر صحيـــح » (3) .

وحرر الموقف فقال ان **التكلف كما يعرض في السجع عند تماثل الحروف ، يعرض في الفواصل عند تناسب الحروف**، والتكلف في كليهما مذموم مرفوض. اما ان يأتي التماثل والتقارب طوعا سهلا وتابعا للمعاني، فهو المحمود الدال على الفصاحة وحسن البيان . ولم يرد في القرآن الا ما هو من هذا الضـــرب لعلـــوه في الفصاحة .

ثم قال ... « واظن ان الذي دعا اصحابنا الى تسمية ما في القرآن فواصل ولم يسموا ما تماثلـــت حروفه سجعا ، رغبة في تنزيه القرآن عـــن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروي عن الكهنة وغيرهم . وهذا في التســمية قـــريب ، فامـــا الحقيقـــة فمـــا ذكرنـــاه » (4) .

وكذلك لم ير « ابن الاثير » في (المثل السائر) وجها لذم السجع على الاطلاق ونفيه عن القرآن جملة. فهناك سجع بليغ ، الفاظه حلوة حادة طنانـــة رنانـــة لا غثة ولا باردة ، والمعنى فيه تابع للفظ ، وكل فقرة من المجموعتين دالة على معنى غير الذى دلت عليه اختهـــا (5) .

« وابو هلال العسكري » في فاتحة (اســـرار البلاغة) يرى من السجع ما هو حسن بليـــغ ، اللفظ فيه استدعاه المعنى . وعنده ان مثل هذا السجـــع حلية في الكلام ، ويعجبه منه الرونق اللفظي الذي هو عنده من اسرار الاعجاز (6) .

« وابن حمزة العلوي » في باب التسجيع مـــن (الكتاب المرسوم بالطراز) لم يعرض للخـــلاف بيـــن الاسجاع والفواصل ، ولا ناقش القائلين بالسجع في القرآن والقائلين بنفيه ، لكنه قرر ان التسجيع « من علوم البلاغة ، كثير التدوار عظيم الاستعمال في السنة

---

1) الباقلاني : اعجاز القرآن ، (في نفي السجع عن القرآن) .
2) ثلاث رسائل في اعجاز القرآن : ص 97 ، ط الذخائـــر .
3) الخفاجي : سر الفصاحة : 164 .
4) الخفاجي : سر الفصاحة : 166 .
5) ابن الاثير : المثل السائر ، ص 74 ، 97 ــ ط البهية بالقاهرة سنة 1312 .
6) اســـرار البلاغـــة : 7 .

البلغاء ، ويقع في الكلام المنثور ، وهو في مقابلة التصريع في الكلام المنظوم الموزون في الشعر » (1)

وواضح من مسلكه في الاستشهاد لكل نوع من انواع التسجيع بآيات قرآنية ، انه يذهب مع القائلين بوجود السجع في القرآن .

« وابن ابي الاصبع المصري » (585 : 654 هـ) في كتابه (بديع القرآن لا يبدو مستقرا على راي في الموضوع ، ففي باب (ائتلاف الفاصلة) ينفي السجع عن فواصل القرآن ، وفي باب (التسجيع) ياتي بشواهد قرآنية على فنون التسجيع (2) .

— ◆ —

واراني اطلت في عرض اقوال السلف في الفواصل القرآنية والسجع ، توطئة لتدبر **اسرار التعبير في هذه الظاهرة الاسلوبية من البيان المعجز .**

وقد راينا كيف تباعدت بهم السبل بين الطرفين المتقابلين :

ففي البيئة الكلامية ، اختلفت الفروق الاسلامية بين نفي السجع في القرآن نفيا باتا على ما نقلنا من كلام الاشاعرة والمعتزلة .

وبين القول بوجوده في النظم القرآني . قال به من الشيعة « يحيى بن حمزة العلوي » وفي البيئة اللغوية والبلاغية ، تباعد الخلاف بين مذهب « الفراء» في ان السجع في القرآن مقصود لذاته ، وانه ربما عدل عن نسق الى آخر وءاثر لفظا على غيره في معناه، قصدا الى المشاكلة واتفاق رؤوس الآيات .

وبين من انكروا ، كابن سنان الخفاجي وابن الاثير،ان تكونمعاني الفواصل القرآنية تابعة للالفاظ.

وراينا من الاقدمين من فرقوا بين الفواصل والاسجاع ، اما بملحظ شكلي من توازن المقاطع طولا وقصرا وتماثل اواخرها او تقاربها ، وهو راي «القاضي الباقلاني » . واما بملحظ معنوي في مجيء اللفظ تابعا للمعنى او العكس كراى «علي بن عيسى الرماني».

لكن اكثر البلاغيين لم يروا فرقا بين الفواصل والسجع ، فكلاهما يعرض له الاستكراه والتكلف فيهبطان عن مستوى البلاغة ، كما قد ياتي كلاهما طواعية دون قلق او استكراه بتوجيه المعنى ، فيرقى الاسلوب بلاغيا وتكتمل له قوة المعنى ورونق اللفظ .

وعندهم ان الامر في التفرقة بين الاسجاع والفواصل ليس الا كراهة القول بالسجع في القرآن، بعد ان شاع اطلاقه على سجع الكهان .

وما نزال نجد جفوة تجاه لفظ السجع ، لطول ما ابتذلته الصنعة اللفظية والزخرف البديعي ، في اساليب العصور المتاخرة ، بعد ان اصطنعه الكهان في العصر الجاهلي .

ومن ثم نؤثر ان نمضي على تسمية مقاطع الآيات في النظم القرآني بالفواصل ، وهو ما جرى عليه اكثر المفسرين .

وبعد الذي سقناه من خلافهم فيها بين اللفظ والمعنى نتدبر الفواصل القرآنية **فلا نرى البيان القرآني يتعلق في اي فاصلة منها بمجرد رعاية شكلية للرونق اللفظي ، وانما تاتي فواصله جميعا لمقتضيات معنوية بيانية مع نسق الايقاع بهذه الفواصل ، والتلاف الجرس ، على نحو تتقاصر دونه طاقة البلغاء .**

واختار هنا شواهد من الفواصل التي وهم «الفراء» ومن ذهب مذهبه فحملوها على قصد المشاكلة اللفظية بين رؤوس الآيات بايثار نسق على آخر او العدول عن لفظ الى غيره في معناه .

ونختلف معهم ابتداء في القول بلفظين لمعنى واحد . وقد سبق بيان ذلك في الترادف وسر الكلمة.

ثم ننظر في هذه الفواصل :

« والضحى والليل اذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى »

قال « الفراء » ان القرآن جرى فيها على طرح الكاف من « قلاك » ــ ومن : فآوى فهدى ، فاغنى ــ لمشاكلة رؤوس الآيات .

وعد « الفخر الرازي » من وجوه حذف الكاف ، رعاية الفاصلة (3) .

---

1) الطراز : باب التسجيع ، ط المقتطف بالقاهرة 1914 .
2) بديع القرآن : ص 89 ، 108 ط نهضة مصر بالفجالة 1957 .
3) الرازي : التفسير الكبير ، سورة الضحى .